Philip The Arabian
(Marcus Julius Philippus)

الإمبراطور الروماني فيليب العربي
(ماركوس يوليوس فيليبوس)

عبد المجيد حاج حمدان
قسم التاريخ
جامعة دمشق

Philip The Arabian
(Marcus Julius Philippus)
الإمبراطور الروماني فيليب العربي
(ماركوس يوليوس فيليبوس)

عبد المجيد حاج حمدان
قسم التاريخ
جامعة دمشق

١-أسرة فيليب العربي ونشأته:

ولد فيليب العربي المعروف في اللاتينية باسم ماركوس يوليوس فيليبوس Marcus Julius Philippus عام ٢٠٥م، في مدينة شهبا التي تقع على بعد ٩٠كم، جنوب شرق دمشق(١).

أسس هذه المدينة الإمبراطور فيليب العربي في منتصف القرن الثالث ميلادي وكانت تعرف باسم "مدينة فيليب أو فيليبوبوليس"، وأبوه فيليب هو يوليوس مارينوس. الذي كان سيد البلاد في منطقة شهبا آنذاك(٢)، وهو أحد الشيوخ العرب(٣)، ومن القبائل العربية التي أقامت في اللجاة وغيرها من المناطق، التي بدأت تتزايد أهميتها ويتسع نفوذها مع تزايد عدد أفرادها وقدراتهم القتالية وفعالياتهم الاقتصادية المختلفة، حتى أصبحت تشكل قوة هامة لها وزنها في المنطقة(٤).

وللأسف، لم تتوافر لدينا أية وثيقة تتحدث عن فيليب العربي عندما كان في بلدته الأصلية، كذلك لا توجد إلا معلومات قليلة جداً تتحدث عن مراحل صعوده إلى العرش وعن الحوادث التي جرت في عهده(٥).

التحق فيليب العربي بالجيش الروماني مع عدد كبير من أبناء وطنه الشباب، لإرضاء طموحاتهم وتطلعاتهم ولتحقيق أمنياتهم في الوصول إلى السلطة، والشعور بالميل إلى حبّ الحرية وممارستها.

وقد تزايد عدد الشباب السوريين في جيش الشرق الروماني، مما جعل هذا الجيش ليس في الحقيقة من الصبغة الرومانية إلا الاسم، إذ إن معظم عناصره كان من أبناء المنطقة العربية(٦).

تسلّم فيليب العربي سدة الحكم في روما عام ٢٤٤م، وكان ذلك استمراراً طبيعياً للحكم العربي، فقد عاد الحكم العربي بعد غياب الأسرة السبطية فترة لا تزيد عن تسع سنوات، وهي الفترة التي امتلأت بالاضطرابات والمشاكل والاعتداءات الخارجية، والتي تجاوزت الخمس سنوات(٧).

اشتهر فيليب العربي بالجرأة والشجاعة والإقدام والمروءة وغيرها من الصفات العربية الحميدة، وقد حققت هذه الصفات لفيليب سرعة التدرج والارتقاء في مناصب الجيش الروماني(٨).

وبالفعل ظلّ فيليب يتدرّج في المناصب حتى عيّنه الإمبراطور (جورديان الثالث)، قائداً للحرس الإمبراطوري بعد وفاة قائد الحرس الإمبراطوري (تيميسثيوس) في عام ٢٤٣م(٩).

وقد اعتاد جنود الجيش الروماني على التمرد منذ بداية القرن الثالث، وفرض إرادتهم بسبب تزايد شعورهم بأهميتهم، وبنتيجة قلة انضباطهم استغلوا فرصة قلة الخبز(١٠)،

والإمدادات اللازمة للجيش، وضعف شخصية وخبرة الإمبراطور الشاب العسكرية (جورديان الثالث)، لذلك ثاروا ضده وقتلوه في عام ٢٤٤م، مع العلم بأنه كان يستعد لقتال الفرس الساسانيين في أواخر شباط عام ٢٤٤م، بعد ذلك نادى الجند بقائد الحرس الإمبراطوري (فيليب العربي)، إمبراطوراً على عرش الإمبراطورية الرومانية سنة ٢٤٤م، في مدينة زيتا السورية التي تقع بين قرقيسيوم ودورا أوروبوس على الفرات[١١].

بعض المصادر ذكرت بأن جورديان الثالث قد قتل على يد الفرس الذين عرفوا بالقتل البشع، سواء أكان غدراً أو في ساحة القتال[١٢]، ولكن موت جورديان الثالث في الأراضي الفارسية مستبعد تماماً، لأن القوات الرومانية لم تشتبك مع الفرس في الأراضي الفارسية. كان من أول أولويات الإمبراطور الجديد فيليب العربي، أن يعقد سلاماً عادلاً مع ملك الفرس شابور الأول، ومن ثم يذهب إلى روما. لقد كان الصلح مع الفرس بالنسبة لفيليب أهم من استمراره في الحرب معهم[١٣]. لذلك عقد الصلح معهم وأصبح باستطاعته أن يذهب إلى روما بسرعة ويدعم مركزه فيها[١٤].

قبل المؤرخون منذ زمن طويل أن فيليب العربي أسرع إلى روما عبر حدود الفرات منذ أن نادى به الجنود إمبراطوراً في أواخر شتاء عام ٢٤٤م[١٥].

ولدينا النقش العائد للفرقة الثانية بارثيكا في مكان تمركزها في جبل ألبا خارج روما رقم ILs505.

Victoriae reducis dd. nn.[imp. Caes M. Iulii Philipp]
Pii Felicis Aug. et ˙[Otaci]-Liae Se [verae] Aug. [con] iugi (s) d.n., milites leg (ionis) II 5 Partb (icae) [Philippianae] P(iae) F(idelis)
Aet(ernae), q(ui) m(iliare) c(oeperunt) Oclatin[l]o Ad-Vento cos., quorum nomina cum trib (ub) us et Patri Victoria Redux and Philip the Arab Is inserta suit, devo 10 ti numini maiestati- que eorum, d(edicaverunt) X k(al.) Aug. Peregrino et Aemiliano, in his (centuriones) et evok (ati) Augg. nn., cura (m) age [n]te Pompon (io) Iuliano R. leg. Eius.

وهذا النقش هو الدليل الملموس الذي يؤكد بأن فيليب العربي قد سار إلى روما عبر الحدود الشرقية، وأنه وصل إلى روما في نفس اليوم الذي كتب فيه هذا النقش، وهو ٢٣ تموز عام ٢٤٤م[١٦].

إن قواد وجنود الفرقة الثانية بارثيكا قاموا بكتابة هذا النقش خلال الأيام العشرة التي سبقت شهر آب، في ٢٣ تموز عام ٢٤٤م. وعلى الرغم من الصعوبات المتعددة، فإن أحد مضامين هذه الوثيقة يعتبر صحيحاً، حيث تم تدشين هذا النقش الذي يكرم ڤيكتوريا ريدوكس من قبل الإمبراطور فيليب العربي، ومن المفترض أن يحصل هذا التكريم عندما كان الإمبراطور فيليب العربي قد وصل إلى العاصمة روما[١٧]، ولهذا السبب لا بد أن فيليب كان في روما قبل ٢٣ تموز عام ٢٤٤م، ومن هنا نستنتج لماذا أنهى فيليب العربي الحملة الرومانية ضد الفرس بسرعة، وعقد الصلح معهم قبل نهاية شهر تموز وحضر التدشين في روما[١٨].

وهنا نشك بأنه لم يكن بإمكان فيليب العربي أن يصل إلى روما في ٢٣ تموز عام ٢٤٤م، لأنه من غير المعقول أن نقول بأنه وصل إلى روما بدون دعم الفرقة الثانية بارثيكا، لأن هذه الفرقة لم تعد إلى معسكرها في ألبا لأنها ما زالت منشغلة بالعمليات العسكرية في ضواحي الدانوب.

وإنه من الضروري إعادة سبب السير السريع لفيليب العربي إلى روما، والأحداث المترتبة عن السنة الأولى لحكمه[١٩]. وهنا لا بد من العودة إلى "المختصر التاريخي العام للقرن الثاني عشر للراهب زوناراس Zonaras"[٢٠].إذ تعدّ مصادر الراهب زوناراس عن هذه الأحداث من مصادر البحث المهمة، لأنه أفضل من كتب عن فيليب العربي.

لقد أشار زوناراس أولاً: إلى أن السلام مع شابور كان مسألة طويلة الأمد. وثانياً: أن فيليب كان في طريقه إلى روما من الشرق وتوقف ليقوم بعمليات عسكرية في ضواحي الدانوب.

كما ذكر زوناراس بأن فيليب العربي قد سلّم أرمينيا وبلاد ما بين النهرين إلى شابور الأول بشرط أن يسترجعهما بعد فترة قصيرة رغم السخط العام(٢١).

أما زوسيموس فقد أشار إلى فيليب كقائد عسكري خاض حرباً شرقية مع الفرس ولم يتنازل عن أية منطقة للفرس في المعاهدة التي وقعها مع شابور الأول(٢٢).

إن هذين الموضوعين يجب أن لا يكونا متناقضين، وإن انسحاب الجيش الروماني من بلاد فارس والمفاوضات مع الفرس تتطلب دبلوماسية طويلة بين الطرفين.

أما كيف تم تحقيق هذه التسوية بشكل سريع فهو سؤال تصعب الإجابة عليه. وإذا اعترفنا بتفسير زوناراس، فيمكن أن نعدّ أن أعمال فيليب الدبلوماسية كانت معقدة وطويلة الأمد، وعلى الأرجح أنها محسوبة بدقة أكثر مما سهلها بعض المؤرخين.

ويظهر أن هناك دلالة على أن إدارة فيليب للأمور العسكرية على الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، قد تم تنفيذها ببالغ الاهتمام والعناية، وهذا يتعارض مع خروجه المفاجئ والسريع إلى روما(٢٣).

وقد افترض زوناراس بأن وصول فيليب العربي إلى روما يمكن أن يكون قد تأخر بسبب استمرار العمليات العسكرية في منطقة الدانوب، وبسبب عدم استقرار السلام بعد، لذلك فعودته بهذه السرعة إلى روما غير أكيدة(٢٤).

أما النقش رقم ILs505 وأغلب المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها فهي تجمعْ على أن وصول فيليب العربي إلى روما كان قبل ٢٣ تموز عام ٢٤٤م(٢٥). ومن مصلحة

الإمبراطور فيليب الجديد أن يظهر في العاصمة في أسرع وقت ممكن، لأن تتويج الإمبراطور يجب أن يكون في روما نفسها.

وبعد أن أصبح فيليب العربي إمبراطوراً على عرش الإمبراطورية الرومانية في عام ٢٤٤[٢٦]، رأى أن من واجبه إحاطة مجلس الشيوخ في روما، بنبأ اغتيال الإمبراطور جورديان الثالث. فأرسل كتاباً رسمياً إلى مجلس الشيوخ في روما، يبلغهم فيه عن نبأ موت الإمبراطور جورديان الثالث، وحيًّا في كتابه ذكرى الإمبراطور السابق ومآثره بعبارات مألوفة ومناسبة، هذا وقد اهتم الإمبراطور فيليب العربي باعتراف مجلس الشيوخ في روما به إمبراطوراً، كما اهتم بقضايا الجيش الروماني، وقتال الفرس الساسانيين[٢٧].

وساعد على ذلك أن الجيش الروماني في ذلك الحين كان يتمتع بنفوذ قوي، لذلك صادق مجلس الشيوخ الروماني على طلب الجيش[٢٨]. واعترف به رسمياً إمبراطوراً جديداً للإمبراطورية الرومانية.

بعد هذا الاعتراف تابع فيليب العربي استعداده لقتال الفرس، وبدأ القتال بين الطرفين ضارياً، ولما شعر فيليب بأن الأوضاع مضطربة في كافة أنحاء الإمبراطورية، ولا تسمح له باستمرار الحرب مع الفرس الساسانيين، عقد الصلح معهم في عام ٢٤٤م[٢٩]. هذا الصلح ملخصه أن يرفع الملك شابور الأول يده عم ولاية ما بين النهرين مقابل تنازل روما عن مصالحها في أرمينية الكبرى وأن تدفع له ٥٠٠,٠٠٠ خمسمئة ألف دينار كغرامة حرب وفدية عن الأسرى الرومان الذين قبض عليهم الفرس[٣٠].

وبعد أن اطمأن فيليب على أمن وسلامة الجبهة الشرقية للإمبراطورية الرومانية، اتجه من ساحات القتال في حوض الفرات الأوسط بين دورايوروبوس ومدينة قرقيسيا Circesium إلى مدينة إنطاكية عاصمة سورية آنذاك في شهر نيسان عام ٢٤٤م،

ومن إنطاكية تابع رحلته بحراً إلى روما حيث استقبل فيها استقبالاً عظيماً من قبل مجلس الشيوخ والشعب الروماني[٣١].

لقد كانت حملات فيليب العربي التي شنها ضد قبائل الدانوب الأسفل، ناجحة جداً أكسبته لقب جرمانيكوس مكسيموس Germanicus Maximus[٣٢].

وكان لسك النقود أهمية في ذلك الزمان، إذ كان يدل على السيادة ويؤيد سلطة الإمبراطور، لذلك سكّت دور سك النقود في إنطاكية وروما، نقوداً تزينها صورة الإمبراطور فيليب العربي تأكيداً على سلطته ومكانته وهيبته كإمبراطور روماني[٣٣].

كذلك سكّت دور السك الأخرى في عدد من مدن الإمبراطورية الرومانية، لاسيما في دمشق وبعلبك ونابلس... نقوداً تزينها صورة الإمبراطورة مارثيا أوتاسيلا سيفيرا، زوجة فيليب العربي، وقد زودتنا هذه النقود الأثرية بمعلومات وافية عن هذه الفترة، فقد حملت اسم الإمبراطور فيليب العربي وابنه وزوجته، وعرفتنا على أسماء المدن التي سكّت هذه النقود، وكانت دليلاً أكيداً على التطور والازدهار الاقتصادي لسورية في تلك الفترة[٣٤].

لقد أدرك الإمبراطور فيليب العربي أهمية مجلس الشيوخ كمؤسسة رسمية هامة في الإمبراطورية الرومانية منذ العصر الملكي، فأعاد صلاحياته السابقة من أجل أن يقوم هذا المجلس بمهامه ويتحمل مسؤولياته، بعد أم كان معطلاً لفترة طويلة بسبب تدخل الجيش في صلاحيات مجلس الشيوخ، وضعف هيبة أغلب الأباطرة الرومان. وقد أثار هذا الإنجاز الهام شعور الارتياح في نفوس أعضاء مجلس الشيوخ في روما، واعتبر هذا الإجراء بمثابة صفحة جديدة في العلاقات بين الإمبراطور ومجلس الشيوخ[٣٥].

لقد اعتمد أغلب الأباطرة الرومان بشكل كلّي على الجيش وأهملوا الفئات الأخرى، لاعتقادهم بأن قوة الجيش وحدها هي التي تحقق كل شيء. وقد أدرك الإمبراطور

فيليب العربي خطأ هذه السياسة وسوء نتائجها الخطيرة، ورأى أنه من الحكمة الاعتماد في الحكم على دعم مجلس الشيوخ وكسب تأييد الطبقات الشعبية(٣٦).

إصلاحيات الإمبراطور فيليب العربي:

لاحظ الإمبراطور فيليب أن الوضع يزداد سوءا في الإمبراطورية الرومانية، وهذا تطلب منه القيام بإصلاحات مختلفة، شملت ميادين الحياة، لاسيما الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والأمنية، ولذلك أصدر عفوا عن المعتقلين السياسيين في العهود الرومانية السابقة، وسمح بعودة المنفيين، وألغى الاعتماد على فئة المخبرين، والمغرضين المنتشرين في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية، الذين أقامهم الإمبراطور مكسيمان، وزاد الاهتمام بالزراعة وتنمية الموارد العامة، وحماية المزارعين، معتمدا في حكمه على مبادئ العدل والقانون.

كما ألغى السخرة، وقضى على العبودية، وخفف من أعباء المصادرات العامة غير القانونية، وأصلح طرق الإمبراطورية، ورفع الاضطهاد عن المسيحيين، وأظهر كثيرا من الاحترام والعطف إزاء مجلس الشيوخ والشعب، حتى اعتبره بعض آباء الكنيسة ومنهم القديس جيروم المشهور، أول إمبراطور مسيحي. ووفاء لذكرى هذا الإمبراطور السوري الأصل، أن نعترف بأنه كان أول إمبراطور حرّر المسيحيين من الظلم والاضطهاد، وأعاد إليهم حريتهم واعتبارهم وأملاكهم(٣١).

كل هذا جعل عهد الإمبراطور فيليب العربي بمثابة رد فعل قوي ضد طالع الظلم والتعسف في العهود الرومانية السابقة، وأدّى إلى ارتياح الشعب الروماني في عهد هذا الإمبراطور.

وهناك وثيقة تنسب إلى الحكيم الأثيني (نيكاجوراس) تقول هذه الوثيقة: أما عن عدله، فيكفي ما قد ذكرنا، فأي إحسان أعظم من إحسانه؟ لقد كانت كل المقاطعات راسخة في أغلال من الخوف(٣١). وكان من المستحيل أن يتحدث المرء بحرية حتى زال كل أثر

لحرية القول، إلى أن جاء فيليب العربي وخلّص الناس من هذا الخوف، وأعاد لهم حريتهم كاملة.

لقد كان أغلب الأباطرة شجعاناً في مواجهة العدو، ولكنهم كانوا خاضعين لسلطان جيوشهم، أما فيليب العربي فقد سيطر على الجيش، وأعاد الجند إلى النظام والانضباط.

إن هذه الوثيقة تصور لنا تحول فيليب العربي إلى سياسة الإصلاح الجديدة، التي تخدم مصالح الشعب الروماني.

كذلك لدينا وثيقة ثانية تتحدث عن الأوضاع الاجتماعية، وهي موجهة من فلاحي بعض الأراضي في آسية الصغرى إلى فيليب العربي تقول الوثيقة ما يلي:

"بينما يحظى سائر الناس في أيام حكمك السعيد، يا أكثر الملوك تقوى وبركة بحياة آمنة لا يكدر صفوها مكدر، إذ قد انتهى الفساد، وانقطع تماما الاستغلال، وما زلنا وحدنا نعاني من المساوئ، مما لا يتفق مع عهدكم السعيد، لذا نرفع إلى مقامكم هذا الالتماس، نحن فلاحو الأباطرة الأقدمين. وبهذه الصفة نلتجئ إلى جلالتكم، فنحن نعاني الظلم وابتزاز الأموال من أولئك الذين من واجبهم أن يحموا الشعب... هؤلاء نستخدمها في الحرث، ويبتزون منا ما ليس من حقهم... فنحن نرزح تحت ظلم وسلب لا مثيل لهما[٣٩].

وفي وثيقة ثالثة يعود تاريخها إلى عام ٢٤٦م، تتضمن عقد بيع وردت فيه الإشارة إلى الإعلان الذي أصدره حاكم مصر لتشيع الإقبال على شراء الأراضي، حماية صغار الملاكين تنفيذاً لسياسة الإمبراطور فبليب العربي، لاسيما في مصر وفي كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية[٤٠].

يستنتج روستوفتزف من نص الوثيقة الموجهة إلى الإمبراطور، أن ذلك الخطيب مدح الإمبراطور فيليب العربي بعدة أوصاف: (التقي) و(الورع) و(الوديع) و(الحكيم) و(العادل) و(القادر على ضبط نفسه) و(المحب للخير)... [٤١].

لقد شيد فيليب العربي قصراً ضخماً على هضبة كيليوس، إزاء البالاتان في روما، وحلم بتأسيس سلالة إمبراطورية، وسمى ابنه ماركوس يوليوس فيليبوس قيصراً، ثم منحه لقب أوغست، وعيّن أخاه غايوس يوليوس بريسكوس قائداً على أوروبة الشرقية، وأعلن أن أباه قد أصبح إلهاً، وأقام له معبداً في (شهبا - فيليبوبولس)[٤٢].

لقد كانت غزوات القبائل الجرمانية والكاربية المتوحشة على حدود الإمبراطورية الرومانية في أوروبة الوسطى تثير قلق الإمبراطور فيليب العربي، لذلك قاد الجيش بنفسه لمحاربة تلك القبائل في عام ٢٤٥م و ٢٤٦م[٤٣]. واستطاع أن ينتصر على تلك القبائل المهاجمة والزاحفة إلى حدود الإمبراطورية الرومانية في أوروبة الوسطى[٤٤].

وكانت الانتصارات الرائعة التي حققها الإمبراطور فيليب العربي على أعداء الإمبراطورية الرومانية في الداخل والخارج، قد تركت أطيب الأثر في نفوس أعضاء مجلس الشيوخ بشكل خاص والشعب الروماني بشكل عام. ومنحته هذه الانتصارات عدة ألقاب منها: لقب (غازي الجرمان Maximus Germanicus)، ولقب: (غازي الكاربيين Maximus Carpicus).

بعد عودة الإمبراطور فيليب العربي من ساحات القتال في أوروبة الوسطى إلى العاصمة روما، احتفلت روما بتلك الانتصارات الهامة، وفرح الشعب الروماني فرحاً عظيماً، ففي الحادي والعشرين من نيسان عام ٢٤٨م، أعلن الإمبراطور فيليب العربي عن الاحتفال بذكرى مرور ألف عام على بناء مدينة روما[٤٥]، وكان هذا الاحتفال حدثاً تاريخياً هاماً، لتلبية متطلبات المجتمع الروماني من مناسبات تبعث في نفوسهم الفرح السرور والذكريات السعيدة[٤٦].

لقد أشار عدد من المؤرخين إلى أهمية تلك الأفراح الناتجة عن حسن إعداد أجمل الألعاب المختلفة(٤٧)، وحفلات الرقص والموسيقى وصراع الحيوانات المختلفة التي ذكروا أعدادها بالتفصيل (عشرة أسود، وعشرة نمور، وعشرة ضباع، وعشر زرافات، وعشرة أفراس نهر، وعشرين كركدن، وعشرين فهداً، وعشرين حماراً وحشياً...) وغيرها من التفاصيل التي تحدث عنها المؤرخ (جوليوس كابيتولينوس Gulius Capitnus) وأهميتها في ملعب (سيرك مكسيموس Cirxus Maximus).

وكان من أهم مظاهر تلك الاحتفالات المتميزة إحياء الألعاب الرياضية الكبرى، التي كان من عادة قدماء الرومان إحياؤها كل مائة عام، لأنها تثير الفرح والغبطة في نفوس مشاهدي تلك الألعاب الرياضية التي أتيحت لهم فرصة مشاهدتها، في حين أن غيرهم لم تتح لهم فرصة مشاهدتها، لأن عمرهم لم يمتد بهم إلى وقت موعد الاحتفال بذكرى مرور ألف عام على تأسيس روما في عهد الإمبراطور فيليب العربي، واعتبر المؤرخون أن هذا الاحتفال حدث تاريخي مميز(٤٨).

لقد بهرت عظمة الاستعراضات والحفلات التي أقامها فيليب أعين الناس، وانصرف الأتقياء الورعون إلى ممارسة الطقوس الخرافية، بينما تدبرت القلة المذكورة في عقولها ماضي الإمبراطورية ومستقبلها(٤٩).

الإمبراطور فيليب العربي والمسيحية:

لقد عانت المسيحية والمسيحيون من الاضطهاد حوالي قرنين ونصف في عهود عدد من الأباطرة لاسيما في عهد الإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨م)، الذي اتهم المسيحيين بحريق روما، وتراجان (٩٨-١١٧م)، الذي اضطهد المسيحيين، ومكسيمينوس التراقي ٢٣٥-٢٣٨م)، الذي اتهم رجال الكنيسة بإبعاد الرومان عن ديانتهم الوطنية... كل ذلك جعل قدماء المسيحيين يمارسون عبادتهم في الكهوف، والمغاور في جوّ من الخوف والاضطهاد، إلى أن اعتلى الإمبراطور فيليب العربي عرش الإمبراطورية

الرومانية عام ٢٤٤[٥٠]، حيث شهدت المسيحية في عهده التسامح الديني، وتمتّع المسيحيون بالحماية... مما جعل المؤرخين أمثال أوسوبيوس القيصري توما... يقولون بأن فيليب العربي كان مسيحياً. وقد أكد ذلك المؤرخ الكنسي أوسوبيوس معتمداً على أقوال دونيس الاسكندري[٥١].

في حين أن عدداً كبيراً من المؤرخين يشكّون في صحة اعتناق الإمبراطور فيليب العربي للديانة المسيحية معتمدين في ذلك على ما يلي:

١- استمرار تمسك الإمبراطور فيليب العربي بالدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية.

٢- أصدر الإمبراطور فيليب العربي أمره بتأليه أبيه جوليوس مارينوس ورفعه إلى مرتبة الآلهة كعادة الرومان المتعلقة بتعظيم عظمائهم، حيث تبدو على الميدالية صورة والد الإمبراطور فيليب العربي يوليوس مارينوس، وهي تحمل ملامح رجل كهل جميل الصورة والوقار، وتحيط بصورته على الميدالية كتابة تتضمن عبارة مارينوس المؤلّه، كما يوجد نسر كبير باسطاً جناحيه يرفع صورة الأب يوليوس مارينوس إلى مصاف الأرباب، وعلى ظهر الميدالية توجد صورة الربة (روما) تحيط بها عبارة "المستعمرة فيليبوبوليس".

على الرغم من أنه ليست هناك أية وثيقة تؤكد بأن فيليب العربي كان مسيحياً، إلا أن هناك من يرى بأن الإمبراطور فيليب العربي رغم أنه لم يعتنق المسيحية، فقد خدم المسيحية أكثر مما لو كان مسيحياً ومن هذه الخدمات نجد:

آ- تأثره بعادات مجتمعه وبيئته وأخلاقية شعبه ولاسيما فكرة التسامح.

ب- من المحتمل أن يكون الإمبراطور فيليب العربي قد أدرك بذكائه مستقبل المسيحية، وبعدما رأى وسمع الكثير عن تضحيات القديسين والقديسات.

ج- كان الإمبراطور فيليب العربي يتقرّب من المسيحيين، ويتبادل هو وزوجته الرسائل مع أُورِيْجنس Origenes (١٨٥-٢٥٤م)، الذي تحدث عن عهد فيليب العربي وملاحقة السلطة للمسيحيين سابقاً.

د - إن المسيحية ديانة شرقية نشأت في بيئته وبلاده، لذلك فازت بعطفه وحمايته(٥٢).

رغم ذلك، لم يكن الرومان بشكل عام متعصبين لأية ديانة، ولم يكونوا ضد أية ديانة لا تثير قلقهم، ولا تشكل خطراً على كيانهم السياسي. إلا أنهم كانوا عالم حاقد على المسيحية في تلك الفترة، حيث عاش المسيحيون بسلام في عهد الإمبراطور فيليب العربي(٥٣).

لقد اعتبر بعض آباء الكنيسة ومنهم القديس جيروم المشهور، أن فيليب العربي كان أول إمبراطور مسيحي، حرّر المسيحيين من الظلم والاضطهاد وأعاد إليهم حريتهم واعتبارهم وأملاكهم، بحيث لا يُنسَب لك فقط إلى الإمبراطور قسطنطين الأول الذي أتى بعد هذا الزمن بفترة طويلة(٥٤).

ظهور الفتن وموت الإمبراطور فيليب العربي:

شهدت الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث الميلادي موجة من الفتن والاضطرابات جعلت الإمبراطور فيليب العربي يفكر جديا بطرق تثبيت دعائم الحكم، حتى يعم الاستقرار والازدهار الاقتصادي كافة أنحاء الإمبراطورية، ويحلم بتأسيس سلالة إمبراطورية، فعمل على القضاء على الوشاة والجواسيس، الذين أقامهم ماكسيمان من قبله، وأصلح طرق الإمبراطورية، وعفى عن المبعدين، ورفع الظلم والاضطهاد عن المسيحيين، وأظهر كثيراً من الاحترام والعطف تجاه مجلس الشيوخ والشعب.

رغم ذلك بدأت الفتن والاضطرابات بالظهور من جديد خلال الفترة الأخيرة من عهد الإمبراطور فيليب العربي، وقد تزايدت أعمال التمرد في صفوف الجنود في مناطق الدانوب، ثم امتد التمرد إلى إيطالية(٥٥)، ووصل الوضع إلى درجة من الخطورة جعلت بعض المتمردين يستعينون بأعداء روما من عناصر قبائل القوطيين المتوحشين ضد الإمبراطورية الرومانية، والعرش الروماني.

بعد ذلك نادى أولئك الجنود المتمردون بأحد ضباطهم الصغار المدعو تيبريوس كلوديوس مارينوس باكانيانوس وأعلنوه إمبراطوراً(٥٦)، دون أن يشعروا بأية مسؤولية قد تنتج عن عدم انضباطهم وسوء تصرفهم من أخطار تهدّد البلاد، والمواطنين والاقتصاد الوطني. وعندما سمع مجلس الشيوخ في روما بأنباء تلك الفتن والاضطرابات وأعمال التمرد، وتعاون المتمردين مع أعداء روما، تأثراً كثيراً وأدرك الأخطار الجسيمة الناجمة عن تلك الفتن والاضطرابات وأثرها الخطير على البلاد، والاقتصاد والمواطنين... لذلك وقف القائد دوكيوس منددا بشدة بسوء تصرفات مارينوس، ومؤكداً ضرورة قمع تلك الفتن والاضطرابات وأعمال التمرد بالسرعة الممكنة وبالطريقة المناسبة.

لقد تنبأ دوكيوس بذكائه بأن مارينوس الذي نادى به المتمردون إمبراطوراً ستقضي عليه الفتنة نفسها التي أتت به إمبراطوراً.

وبالفعل تحقّقت تلك النبوءة حيث قضى المتمردون أنفسهم على مارينوس عام ٢٤٩، مما جعل الإمبراطور فيليب العربي يعجب بحكمة دوكيوس ورأيه الصائب، ورؤيته المستقبلية الحكيمة، لذلك اعتبره الرجل المناسب للقيام بمهمة التصدي للمتمردين، وإعادة النظام في صفوف جنود الجيش الروماني المرابط في مناطق الدانوب المضطربة.

لقد أرسل فيليب العربي أحسن قواده كفاءة وهو جايوس ميسيوس كونتوس تريانوس دوكيوس(٥٧) لقيادة الجيش الروماني، وعهد إليه بمهمة القضاء على الفتنة متمنياً له النجاح في تحقيق مهمته والتصدي لقبائل القوطيين المهاجمة.

هذا وقد نجح القائد دكيوس في صد قبائل القوط المهاجمة، ولكنه ما لبث أن وافق بسبب ضغط الجنود عليه في مناطق الدانوب المضطربة، على قبول المناداة به إمبراطوراً، وأن يستجيب لطلب أولئك الجنود أخيراً.

بعد ذلك بعث دوكيوس إلى الإمبراطور فيليب العربي كتاباً يؤكد فيه ولاءه له، ولكن الإمبراطور فقد ثقته به، وأصبح يشك به، ولم يصدق مضمون كتابة، الذي يؤكّد فيه ولاءه لفيليب العربي ولكن الإمبراطور اعتبره مجرد خداع(٥٨).

شعر الإمبراطور فيليب العربي بالأخطار المحدقة به وبالإمبراطورية الرومانية، لذلك سار بنفسه وقاد الجيش الروماني لقتال دوكيوس في موقع مدينة فيرونا عام ٢٤٩م. وبدأ القتال بين الطرفين عنيفاً، حيث بذل كل من الفريقين أقصى جهوده مدركاً بأن هذه المعركة بالنسبة إليه معركة حياة أو موت. وكان الإمبراطور فيليب العربي يقاتل بشجاعة وجرأة وإقدام لا مثيل لهما، مما جعل تلك المعركة تنتهي بموت الإمبراطور فيليب العربي بالقرب من مدينة /فيرونا/ عام ٢٤٩م.

أما خلفه، فكان ابن الإمبراطور فيليب الثاني، الذي لم يتفق المؤرخون حول مصيره حتى الآن، والذي أعده أبوه أحسن إعداد من أجل استمرار الحكم، وتثبيت دعائمه ومتابعة الاستقرار، والإصلاحيات التي بدأها، لذلك انقسم المؤرخون إلى فريقين: فريق اعتقد بأن الإمبراطور فيليب العربي قد ترك ابنه في روما وقاد جيشه متجهاً لقتال دوكيوس الإمبراطور المزيف والجنود الذين تمرّدوا معه على الإمبراطور فيليب العربي(٥٩). وبعد أن وصل نبأ موت فيليب العربي في معركة فيرونا الحاسمة إلى

روما، قام رجال الحرس الإمبراطوري بانقلابهم على الأسرة الحاكمة، وقتلوا فيليب العربي الثاني. وتخلصوا منه ومن أسرته الحاكمة.

وفريق آخر من المؤرخين اعتقدوا بأن الإمبراطور فيليب العربي قد اصطحب معه ابنه فيليب الثاني ليساعده في القضاء على خصمه دوكيوس والجنود المتمردين معه، حيث قتل هو وأبوه في معركة فيرونا الحاسمة، في بداية شهر تشرين الأول من عام ٢٤٩م[٦٠]. ولم يكن لفيليب الثاني من العمر إلا اثنتي عشرة سنة[٦١].

رأي المؤرخين في الإمبراطور فيليب العربي:

بعض المؤرخين استخدموا عبارات وأوصافا أطلقوها اعتباطا على شخصيات غير رومانية، كقولهم عن الإمبراطور فيليب العربي: بأنه ابن أحد قطاع الطرق، أو اتهامه باشتراكه في القضاء على حكم الإمبراطور الشاب جورديان الثالث وموته... أو انتقاده لأنه وقع معاهدة مع الفرس الساسانيين وتخليه عن أرمينية وبلاد الرافدين إلى شابور الأول[٦٢]. إلا أن المؤرخين الموضوعيين والمنصفين ذكروا الصفات الإيجابية التي كان يتمتع بها الإمبراطور فيليب العربي والتي كان من أهمها:

أ- اعتزازه بمجتمعه وبيئته. وحسن اهتمامه بقريته التي نشأ بها. حيث عبّر عن وفائه لها بإعمارها. كما أنه جعلها تحمل كل صفات المدينة الرومانية.

أراد فيليب أن يجعل منها مدينة عظيمة تنافس أعظم مدن الغرب لاسيما مدينة روما، فأطلق عليها اسمه (فيليبوبوليس) أي مدينة فيليب. وأمر بتحسينها وتحصينها وبتشييد المباني المدنية والدينية: من معابد وملاعب وقصور وحمامات عامة وأقواس نصر. وللترفيه عن الشعب بنى فيها مسرحا ثم أمر ببناء سور يحيطها من جميع الجهات على شكل مربع وجعل له أربعة مداخل رئيسية في جهاتها الأربع. يتصل المدخل الجنوبي مع الشمالي بشارع رئيسي فرش بالبلاط الحجري. وكذلك يتصل المدخل الشرقي مع الغربي بشارع رئيسي اخر. ويتقاطع الشارعان في وسط المدينة ليشكلا

باباً رباعياً (باب مفترق الطرق أو التيرابيل) تحيط به ساحة عامة شبه بيضوية[٦٢]. وتم العثور على بقايا دار كبيرة ما زالت تحتفظ بروائه الفسيفساء الفنية التي تمثل ربة البحر تالاسا، وعرس أرديان والشاعر الموسيقاؤ أورفة، وأفروديت.

وإلى الغرب من الشارع الرئيسي توجد أجزاء مبنى شبيه ببناء القصور، يسميه أهالي شهبا باسم (الكليبة) وإلى يسار الكليبة يوجد ضريح آل فيليب العربي، وهو بناء صغير يشبه المعبد أمر ببناءه الإمبراطور فيليب من أجل تقديس ذكرى والده الذي وصل في تلك الفترة إلى مرتبة الإله[٦٣]. ولا تزال آثار هذه المدينة تشهد على عظمتها حتى يومنا هذا.

ب- جرأة الإمبراطور فيليب العربي وشجاعته.

جـ- حسن اختياره للعمل في الجيش كمهنة التزم بها حيث دخل الجيش مقاتلا عادياً وظل يتدرج في المناصب العسكرية الرومانية حتى أصبح إمبراطورا وهذا دليل على ذكائه وشجاعته، وبذلك حقّق طموحاته التي خطط لها.

د - أخلاقه العالية وتربيته العسكرية وحبه للنظام والتقيّد به، ولهذا قام بإصلاحات عديدة لاسيما موقفه المتسامح مع الديانة المسيحية، وإعادة الهيبة إلى مجلس الشيوخ لشيوخ، وتطبيقه للقانون في جميع ولايات الإمبراطورية الرومانية.

وجدير بالذكر أن التزام الإمبراطور فيليب العربي بالنظام العام، جعل الجنود يتمرّدون عليه، وهم الذين اعتادوا على هذا الإمبراطور أو ذاك. لذلك كان فيليب العربي ضحية هؤلاء المتمردين بسبب تمسّكه بالنظام العام الذي كان يعتبره أداة لكل تقدم واستقرار وازدهار في الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم تبدو لنا دراسة الإمبراطور فيليب العربي هامة جداً، بسبب كثرة المنجزات التي حققها للإمبراطورية الرومانية لاسيما من النواحي: السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والدينية. كما أن دراسة هذا الإمبراطور العربي السوري، تظهر لنا دور سورية الهام والفعّال منذ العصر الروماني حيث أثر وتأثر العرب كثيراً بالحضارة الرومانية، رغم تعتيم أغلب المؤرخين على الدور السوري الهام في الحضارة الرومانية، سواء من الناحية السياسية، أو الاقتصادية، أو المعمارية...

وإذا كان الرومان قد احتلوا مصر وسورية ودمروا قرطاجة في الحرب البونية الثالثة ١٤٩-١٤٦ق. م وغيرها...، فإننا نجد أن العرب قد كانوا حضاريين حيث نشروا الحضارة في كل مكان وصلوا إليه، وخاصة الكتابة الأبجدية التي انتقلت عن طريق الكنعانيين (الفينيقيين بحسب التسمية الإغريقية) إلى أوروبة.

إن دراسة تاريخنا بشكل علمي وصحيح، تعتبر من إحدى أهم دعائم شعورنا بكياننا القومي، وشخصيتنا الحضارية لأن تاريخنا الحضاري قديم منذ عصور ما قبل التاريخ وما يزال مستمراً حتى الآن.

الحواشي

(١) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المديرية العامة للآثار والمتحف المجلد الحادي عشر والثاني عشر العام ١٩٦١-١٩٦٢م، ص ١٧٠.

(٢) هورست كلينكل: **آثار سورية القديمة**- ترجمة قاسم طوير، ص ٨٦.

(٣) س. ي. كافاليف: **تاريخ الرومان**، لينغراد، ١٩٨٦، ص ٦٣٦.

(٤) بشير زهدي: **الإمبراطور فيليب العربي**، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٠، ص ٢٢.

(٥) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المجلد الحادي عشر والثاني عشر، ص ١٧٠.

(٦) بشير زهدي: **الإمبراطور فيليب العربي**، ص ٢٣.

(٧) بهجت قبيسي: **الكنعانيون والآراميون العرب في الإمبراطورية الرومانية من القرن الأول ق. م. وحتى القرن الثالث ميلادي** - رسالة ماجستير دمشق ١٩٩٤. (غير منشورة).

(٨) بشير زهدي: **الإمبراطور فيليب العربي**، ص ٢٤.

(٩) س. ي. كافاليف: **تاريخ الرومان**، ص ٦٣٦.

(١٠) م. رستوفتزف: **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي، والاقتصادي** الجزء الأول. ترجمة زكي علي- مراجعة محمد سليم سالم. مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧.

(١١) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المجلد الحادي عشر والثاني عشـــــر، ص ١٧٠.

(12) M. Besnier, (Paris 1973), 153.
(13) Calderini, I serveri, 150, and de Blois, Talanta 10/11 (1976 97), 14-18.
(14) J. Fimz, Honorific **Timles of Roman Milimory units in the 3rd** cenmury (Budapest 1983),178.
(15) X. Loriom, chronologie du Regne de Philippe Arabe (Berlin 1975)244 249.
(16) J.Fimz 3rd 178.

(١٧) تيودور ممزين- **تاريخ الرومان** الجزء الثاني موسكو، ١٩٣٦، ص ٥٥٢.

(18) X .**Loriom,les premieres ann** (Berlin 1975) 763 67.
(19) K. Krumbacher, Geschichte der byrantinischen **Littertur** (Munich 1897), 370 376.
(20)X. Loriom Les prmieres .
(21) A.T. Olmstead, the Mid third century of the christian Era, CP 37 (1942), 243.
(22)G. F. Hill, Catalogue of Greek coins in the British Museum: **Arabia, Mesopotamia, and Persia** (London 1922), Cix, 122FF.
(23) H. Pohlsander philip the Arab and christianity, Historia 29 (1980), 465. 73.
(24) I.shohid, Rome and the Arabs: A prolegomenon to the study of Byrantium and the Arabs (Washington 1984), 65 93.
The New Encyclopaedia Britannica Chicago 1985.2376.

(٢٥) س . ي. كافاليف: **تاريخ الرومان**، ص ٦٣٦.

(٢٦) بشير زهدي: **الإمبراطور فيليب العربي**، ص ٢٨.

(٢٧) فيليب حتي: **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين** -الجزء الأول ترجمـــــة الدكتـــور جورج حداد وعبد الكريم رافق، ١٩٥٨، ص ٣٨٢.

(٢٨) س . ي. كافاليف: **تاريخ الرومان**، ص ٦٣٧.

(٢٩) سيد أحمد علـــي النـاصري، **تـاريخ الإمبراطوريـة الرومانيـة السياسـي والحضاري**- دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣٦٣.

(٣٠) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٤٣.

(٣١) ن. آ. ماشكين - **تاريخ روما القديمة**، ص ٥٧٥.

(32) Damascus: Wroth. Catalogue of the Greec coins Galatia. Cappadocia. and Syria (London 1899) IXXV. 288-87.

(33) M. Rosenberger . 1977). 17-22.

(٣٤) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٣٥.

(٣٥) م. رستوفتزف: **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي، والاقتصادي** الجزء الأول، ص ٥٤٣.

(٣٦) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المجلد الحادي عشـــر والثـاني عشـر، ص ١٧٠.

(٣٧) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٣٨.

(٣٨) م. رستوفتزف: **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي، والاقتصادي** الجزء الأول، ص ٥٧٠.

(٣٩) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٤١.

(٤٠) م. رستوفتزف: **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي، والاقتصادي** الجزء الأول، ص ٥٤٢.

(٤١) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المجلد الحادي عشـــر والثـاني عشـر، ص ١٧٠.

(٤٢) ن. ا. ماشكين **تاريخ روما القديمة**، ص ٥٧٥.

(٤٣) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٤٧.

(٤٤) م. رستوفتزف: **تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي، والاقتصادي** الجزء الأول، ص ٥٢٣.

(٤٥) إدوارد جيبون: **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها**، ترجمة محمد سليم سالم، الجزء الأول لوزان، ١٧٨٧، ص ٢٢٦.

(٤٦) م. رستوفتزف: **المرجع السابق**، الجزء الأول، ص ٥٢٣.

(٤٧) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٥٠.

(٤٨) إدوارد جيبون: **المرجع السابق**، الجزء الأول، ص ٢٢٧.

(٤٩) س . ي. كافاليف: **المرجع السابق**، ص ٦٣٥.

(50) Stephenson, Op. Cit, P. 44 Bury, Op., P. 446.

(٥١) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٥٤.

(52) The New Encyclopaedia Britannica (Chicago 1985), 376.

(٥٣) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٥٣.

(٥٤) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المرجع السابق، ص ١٧١.

(٥٥) مكرر، ص ١٧١.

(٥٦) . رستوفتزف: **المرجع السابق**، ص ٥٢٣.

(٥٧) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المرجع السابق، ص ١٧١.

(٥٨) ن. آ. ماشكين - **المرجع السابق**، ص ٥٣١.

(٥٩) **مجلة الحوليات الأثرية السورية**: المرجع السابق، ص ١٧١.

(٦٠) بشير زهدي: **المرجع السابق**، ص ٦٢.

(61) X. Lorion, les Premieres.

(٦٢) غالب عامر: **شهبا "فيليبوبوليس" مدينة الإمبراطور فيليب العربي**، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق ١٩٨٢، ص ٤.

(٦٣) هورست كلينكل: المرجع السابق، ص ٨٦.